

سفير قصير:

تأريخ الحرب لتربية الذاكرة لا النسيان

يتحلّوا بهتل هذه الامانة للاحداث. فالتحليلات ليست ملزمة لاحد ولكن لا سبيل لافعال الاحداث والوقائع.

تبدأ مناظرته في تبرير النجح الذي سلكته في التأييد من اقامة الفراق بين "لبنان" و"كيب" وان سؤال الـ "كيب" هو المدخل الفعالي لادراك واقع ما جرى. بدورنا نسأل لماذا الـ "كيب"؟

– الـ "لبنان" محاولة لفهم التوايح. وهذا ليس بالامر المعقّد، لانّ السؤال عن النية قد يتعشّن في الواجهة اعادة تركيب كاملة لتاريخ الحدث. وارزق مثل ذلك الكتاب الجديد الذي اصدره اخيراً تيسودور هاف (Haf)، وراى ان سؤال التوايح غير ذي فائدة. فالبرهان الاساسي هو البرهان على ان حرب لبنان يمكن فهمها دون اللجوء الى "معارف" "ايمباريتية". هناك مؤشرات باطنية، كما لم تتدكّم بصيرورة الحدث. وسواء حصلت ام لم تحصل فإن ذلك لا يحول دون فهم التسلسل للاحداث او تفككها. على هذا فنحن على ان كافة تبريرات الحرب قد تصحّ وكما مضطّم باحثان في التلازم والتبريرات التي اعطيت لها. ومن خلال عرض اولى هذه القضايا نختبّن العوامل الفاعلة والتي سادت على اندلاع الحرب بعيداً عن تمسك استنفاها استراتيجا.

في كليات على العوامل تشدّد على التمييز بين عامل (factor) وفاعل (ac-
tor). كيف يكون ذلك على وجه الدقّة؟

– اذا سأت عن عوامل الحرب يقال لك دائما هناك اسرائيل والفلسطينيون والسوريون والشعاق والطائف والوفايل الانتزاعية والاقتصادية وغيرها. وانما جمعت هذه العوامل كلها لا تفهم لانها اندلعت "فهم" الحرب بالذات، وليس اي حرب اخرى. ويكتّم بينما "فهم" مسؤولية الفلسطينيين الحرب.

لقد كتبت الحرب ايضا حصيلّة قرارات لثابته وليس فقط نتيجة عوامل موضوعية. والقرارات كما لو كانت فاعل مسؤولة الفاعل والفاعل بل في ايها مسؤولية المحدثات النفسية والجزئية. فإذا لم يؤدّد مثل في الامتياز التفاضلي هناك في شمال جليل والمراعات السيئة في ظل رئاسة كميل الصلح للحموة، لا يمكن هذه الامور ان تكون حاليّة امتلاخ الحرب (بين احدتها ومعيّن المرتبة).

هناك اليوم اعادة تقويم لتاريخ هذه المرحلة يظهر ان الحركة الوطنية كانت في حالة جموية، ولكن الوفاق كانت كتبت ان كمال جليلنا كان خذرا ويريد ان يعمل على تمديد الوفاق.

كما لا يمكن فهم الموقف من قضية "الاصلاّح" الا اذا اخذنا في الاعتبار الحالة التي شكّلها الزعامة المارونية على فود قرار حربي اثنى اقصاء ريمون اهد والمطربك خريش من دائرة التأمير والفضل.

وقد يفتن المثل اللبني على هذا الصعيد تدمير وسط بيروت. الاشارة الى الوسط قد تمّ فعله، بغرب الفلج والحقبة ان التعمير تمّ ببطء قرار صادر عن حزب الكتائب في ١٧ ايلول ١٩٧٥، فقد نزل مقاتلوه الى الاسواق وقرروها على على تعامل الحكومة الانداز الذي اطلقه الحرب بصيرورة



العمل الذي سائرته مختلفا عمّا هو رائج حول الموضوع. ومين قررت ضرورة الكتابة عن لبنان اروضت ان تكون هذه الكتابة في صيغة اطروحة كتتاريا اكاديمية، في النية بان يُشرّ لاحقا في ١٩٨٢.

كثبت اطروحة في غضون خمس سنوات، والذروت اواخر العام ١٩٩٠. وبالوقت ان عملي، يغطي السبعة اعوام الاولى من الحرب (١٩٧٥ – ١٩٨٢).

تم بالدر مركز الدراسات والبحوث حول الشرق الاوسط المعاصر (CERMOC) بالتعاون مع دار نشر كارثالا (Karhala) التي تبني هذا العمل ونشره، وياتي ان اضيف على الصيغة الاصلية لطروحة اشياء كثيرة.

لقد كان العاجب في تأليف هذا الكتاب ان يكون عملا في "تاريخ الحرب" وان يوفّر سجلا للاحداث نوعا من "الدونة" التارخية التي توم وتكون في متناول الباحثين بانتظار الكشف عن الوثائق الرسمية وما قد يفتح من ملفات جوية.

وقد طلبت بعد العاجب الانجاز الى المقابلة كرونولوجية. وبعد اطلاقي على عدد من المؤلّفين التي تبنت العبارة "البيوعوتية"، انا جاز التغيير، تبين لي ان العبارة الكرونولوجية في الاصل، وانطلاقا من المصطلح الكرونولوجي كان لا بد ان تكون الصفا (ببوية) في صفتها الطولية لتتكون السكّل القيفي الاصل والمصدر الاولي للوقائع. احال لا بد من تسجيل كافة هذه الاحداث اذ كان لا يرتبها كرونولوجيا مع التمييز استمرارا بين مختلف الجوانب التي تشيّر اطرافها لاجت كرونولوجيا لا تتسليم مثل انا اكتفى بالبحث بتسلسل يوفّر دمج الاحداث كما في المنطق، ولان كانت تدوم جميعا في الظرف وحده جغرافية وعملية اسمها جاز لبنا.

وكان العاجب الاخر، وهو تاجم من اختياري المنحى الكرونولوجية، يتمثل بلبنة بعض الوقائع المتعاقبة (sequences) حقيفا من اطراف الوقائع التطبيقية فقلها احيانا باعتبارها طريقة مثلا ايجاد الجذب عام ١٩٧٦، او الحقبة التي لم تشهد وقائع عسكرية بارزة في ١٩٧٦ و١٩٨١).
لقد كان العمل الاصل باعتبارها صفتها وشقا، وان كتبت لا زعم على ابتداءه، اتوقع عددا من الانتقادات، ولكن اتمنى على النقاد ان

حوار بسام حجار

الزميل سفير قصير "حرب لبنان"، من الفخنة الوطنية الى النزاع الاقليمي" الذي صدر اخيرا (بالفرنسية) في منشورات كارثالا (Karhala) بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث حول الشرق الاوسط المعاصر (CERMOC)، في ٥١ صفحة من الحجم الكبير، ثمرة جهود بحثية اكاديمية وتوثيقية استفرقت اجازتها ثمانية اعوام، وكان صمدها الرئيسي "الصحيفة الببوية". واختيار مثل هذا المصدر ميراثه سبب سفير قصير في تعليقه، معتبرا ان العمل الكرونولوجي يتوخى التطرق الى الموضوعية في تناول "حرب لبنان" لتلزم الباحث في اطرّاح سؤال الابدان وتخليها، كما نتيج له ان يلتفت الى ما يفعله "الزعم التحليلي" من محريات تعميم طرفية او على ماشش الحدث الرئيسي.

طروحات "حرب لبنان" تشيّدوا لآكثر من الماطلة في قرابة "الحرب اللبنانية" ولاكثر من زعم حول حقيقة العوامل التي اسهمت فيها ولعبت دورا فاعلا فيها. هذه النتيجة عملة الضخم هذا، وجعل معالجته "الزعم" الرائدة اليوم، كما لنا مع هذا الدور. كيف نشأت فكرة "حرب لبنان" من الفخنة الوطنية الى النزاع الاقليمي. وكيف كانت ظروف الاعداد له وتأليفه تم نشره في كتاب:

– فكرت عبارة عن افكار عدة، والخاص الاول كوني صحتاني لبني، من صفحائين كثر عمولا في التاريخ، فيما الحرب دائرة او تستألف على هذا النحو وان ذلك، فخرت بالخاصة لان ادلي بدلوي في هذا الصدد. لكن الماحاس عندي ان يكون

سفير قصير في بيروت

بوالد ١٩٦٠ في بيروت. تابع دراسته الثانوية في المسيحية الفرنسية في بيروت والدراسات الجامعية في الفلسفة في جامعة باريس الاولى والتاريخ في جامعة باريس الرابعة (السوربون). حاصل على شهادته الدكتوراه في التاريخ الحديث والفاصل.

عمل في الصحافة منذ سنة ١٩٧٧ "لوريان" – "لو جور"، اليوم السابع، "الحياة". عضو ميثقة تحرير مجلة الدراسات الفلسطينية المأجرة بالفرنسية في عامي ١٩٨٢، ١٩٨٣. يكتب دوريا في "لو موند ديبلوماتيك" منذ سنة ١٩٨١.

له: "مسارات" من باريس الى القدس، فرنسا والزمراغ العربي – الاسرائيلي (١٩٧٧)، "١٩٨١"، بالفرنسية في جزئين بالاشتراك مع فاروق مردم بل.

يؤنل حاليا لداره دار النجار للنشر ويكتب مقالاتا اسبوعيا في قضايا "النهار".

الاجزاب على هذا التاثير مرتبطة، الى حد بعيد، بالنقل الشخصي لكامل جليلنا وواحد مفارقاته حربه يكاد لا يتخطى حدود الطاقة الرزبية، او على الاقل، الجعة استقطاب الفاعلة، في حين ان ماله الشخصية كانت تتجاوز حدود الفعالي الطوائف. وانما كان قادة الحزب الشيعي ومنظمة العمل الشيعوي من الوجوه البارزة، فإلما ذلك بسبب من علاقتهم الوثيقة التي تمت تدريجيا مع جليلنا بعد ان ساموا في توطيد علاقته بالقائمة الفلسطينية. وقد ات هذه التواة الصلبة، بدأ من احداث صيدا، الى قيام فريق عمل يومي غير رسمي، وهذا ما يفهم، للمناسبة، لانما كتب محسن ابراهيم وجورج حاوي كتاب الاستقالة الذي قدّمه رشيد الصلح، حليف جليلنا. اما الزريان العيثاني فقد كانا، من جهة، مستقبويان بملاتهما الضمنية مع المنظمات الفلسطينية المتابعين لوصاية دولتهما، او جهة التحرير العربية بالنسبة للبعث العربي، وعلى نمو الوهج، الصلقة بالنسبة للبعث السوري.

الى جانب هذه الاجزاب ذات الهيكلية نظرية، كان ثمة اعداد من الحركات الصغيرة، سواء داخل جمة الاطراف او على امتدادها والتي كان تواجدها يتصرّف في حي واحد او مدينة واحدة. وكانت هذه ٢٤ تحزبتي الازل في طرابلس، وحال عهد من التنظيم الشعبي الناصري في صيدا وحركة التنظيمات في بيروت تنتمي الى التيار الناصري. اتحاد قوى الشعب المصطفى، حركة الناصريين المستقلين (المرايوني)، قوات ناصر، احزاب الثورة، نسور الديمقراطية الخ... (١).

في الزبابي، كانت المنظمات الصغيرة ذات الطابع الطائفي تعاضد ايضا مع ميليشيات الاجزاب والقبائل الفلسطينية. منحا مثلا في منطقة القنيطرة الحركة الشيعية "فتحان علي النبي" اكتسب زعيمها احمد طوان سمعة دورية حين راجت اسمها الخلف – الامر الذي اقتضى صيد بيان عن المجلس الاسلامي الشيعي الاطى موضّحا انه على الضد مما يروج هذه المنظمة لا تمت بصلة اليه. وكفقت ايضا حال الحركات الكردية في الايام الاولى من الحربين والصراع... (٢).

– امالة "المطنان" التي كانت تسود السوربة عسكرية المجتمع في المناطق ذات الغلبة الاسلامية وان بدا ان سر شاعها استبعاد اقل الفعالي كانت لتفسح في المجال امام الكثير من التعميات، لا بل اعمال الاستنزاف. وقد مورست اعمال تنم في مزاريد ياسرانية (لبنانية وفلسطينية) في ميدان القتال و الاستعراض الاثني. مكذا حطفت شايط اميركي خلال الفعالي الثالثة على يد منظمة العمل الاشراكي التوري. وقد انتهت عملية صلبيا بعد تشديد ميام صدر عن المنظمات اللبنانية والمقاومة الفلسطينية، غير ان العملية في حد ذاتها تجتّى ذات دلالة... (٣).

غير ان اخطر التاثيرات واللافت دلالة على ذروة الاسمية، كان استواء نطاق عمليات الخطف الطائفي الذي غالبا ما كان يؤدّي الى تصفيات مباشرة، وكان ثمة هذه الممارسات التي مورست ايضا في المناطق المسيحية، تأجرت باقفة الضمر على وقائع الجسر الاسمية باعتبار انها تناقض شعار اهلنا الطائفي. هذا حين لا يكون ضحايا هذه الاعمال من مناضلي او اضراره من المسيحيين. من هنا يمكن القول ان ممارسة الخطف تميل لتأكيد على ان التمايز الطائفي كان المحرك الرئيسي لتعمية الناس باسم شعارات ذات وجة مختلفة... (٤).

اجزاء من الفصل الخامس: "من الاعداد الى الحرب: بين نسيان الـ ١٩٧٥"، من كتاب: "حرب لبنان: من الفخنة الوطنية الى النزاع...".